شرح الآجرومية لأسرار العربية

للشيخ أبي الحسن زين الدين علي بن ناصر الدين محمد بن محمد

ابن محمد بن جبريل المصري الشاذلي المتوفى 939 هـ

الأستاذ : **سـليم خـيـراني**

باحث وأكاديمي من قسم تحقيق

المخطوطات – جامعة الجزائر–.

الحمد لله رب العالمين جعل ذكره حدائقَ للمؤمنين، ومناجاته غذاء أرواح المتقين، والتضرع إليه عزّ العاملين، نحمده على نعمه، ونسأله المزيد من كرمه، ونصلي ونسلم على من بُعث رحمة للعالمين.

لقد أسال علمُ النحو حبرا كثيرا - قديما وحديثا -، حيث اعتنى به علماء العربية وألّفوا فيه الكتب والتصانيف التي شرّقت وغرّبت حتى بلغت الآفاق، ومن بين هذه التصانيف متن الآجرومية، الذي اهتم به كل من سمع به أو قرأه، وأُلفت فيه شروح عدة، ولا زال يستقطب العلماء والشرّاح.

ومن هذه الشروح التي وُجدت شرح ابن جبريل وهو موضوع رسالتي، والتي أرجو أن تكون قيمة نحوية مضافة إلى أهرمات الشروح والمختصرات.

دوافع الاختيار:

لقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع أسباب عدة (ذاتية وموضوعية)، منها:

- تعلّقي الشخصي بالخط العربي بشتى أنواعه وفنونه.
- حُبِّي الشديد لعلم النحو ومواضيعه المتنوعة.
- شَرْحٌ غير محقق - حسب علمي -.
- كَشْفٌ لفكرِ عالِمٍ لَم تهتم به كثيرا أمهاتُ كتب التراجم.
- قِدَمُ هذا الشرح قِياسا على شروح أخرى.

وقد قسّمت البحث، وفق ما هو متعارف عليه في عرف المحققين وسنّة المدققين، إلى: مقدمة، وقسمين (الدراسة والتحقيق)، وخاتمة.

أما **المقدمة**، فتحوي الحديث عن التحقيق والنحو عموما والآجرومية خصوصا، ودوافع الاختيار، ومنهجية البحث.

وأما **القسمان**، **أولهما**: الدراسة، والتي تتضمن أربعة مباحث:

المبحث الأول: قمت فيه بترجمة لصاحب المقدمة (ابن آجروم) بحكم أنه صاحب الأصل.

المبحث الثاني: قمت فيه بدراسة المقدمة الآجرومية، وتطرقت لبعض شرّاحها وناظيمها ومعربيها ومحققيها.

المبحث الثالث: قمت فيه بترجمة الشارح (زين الدين بن جبريل)، وأذكرُ هنا بأنّي، رغم النظر العميق في أمهات كتب التراجم، لَم أجد ما يشفي الغليل عن ترجمة هذا الشارح إلاّ النَّزْر القليل وما ذُكِرَ عَرَضًا، ولا أعلم لهذا الأمر أيَّ سبب، ولا أقول بأنّ الغرابةَ نزلتْ عليَّ ضيفا؛ لأنّ هناك مَنْ كان يُشار إليه بالبنان وأشهر مِنْ نار على عَلَم، ولَم توله كتب التراجم أدنى اهتمام ولا أضعف اعتبار.

المبحث الرابع: قمت فيه بالتعليق على شرح الآجرومية لابن جبريل، أهميته ومنهج الشارح وأسلوبه ومصادر شرحه وموقفه من الشواهد ومذهبه النحوي وترجيحاته واختياراته.

وكما عمدت إلى إبراز بعض المآخذ واللطائف المسجلة عليه.

أما **القسم الثاني**، فخصصته لتحقيق متن الكتاب وإخراجه وفق الرسم الإملائي الحديث، ويتضمّن قسمين: مقدمات التحقيق، والنص المحقق.

أما **مقدمات التحقيق**، فتتضمّن المنهج المتبع في التحقيق، تحقيق اسم المخطوط، ونسبته إلى مؤلفه، ووصفه.

وأما **تحقيق النص**، فقد اتبعت فيه الخطوات التالية:

- فحصتُ النّسخَ، وأنزلتها منازلها، ثُمّ قمتُ بنسخ المتن من النسخة الأم وفق الرسم الإملائي الحديث[222].
- استعنتُ بالنسخة الثانية والثالثة، وأثْبَتُّ في الحاشية ما كان ناقصاً أو زائداً فيها، وأما باقي النسخ، فقد استأنست بها.
- حافظت على أصل النص (أمانة النقل)، ولم أحْدِثْ فيه تغييرًا إلاّ بما يقتضيه السياق، ونَبَّهْتُ إلى ذلك في الهامش.
- راعيت في ترتيب مادة الكتاب بعض ما يقتضيه الإيضاح، فأبرزت بالخط العريض متن الآجرومية وعناوين الأبواب والفصول والأمثلة والأقوال والألفاظ التنبيهية (مثل لفظة: اعلم، فائدة).
- فصلتُ الفقرات بعضها عن بعض مع تصويب الأخطاء الإملائية والنحوية وتقويم جُمَل النص من زيادة أو حذف كلمة وفق ما يقتضيه السياق، وأشرت إلى ذلك في الهامش.
- أنزلت النقط والفواصل منازلها من النص.
- تغاضَيْتُ عن إثبات الحروف الصغيرة من نسخة إلى أخرى، والتي وجودها كَعَدَمِها (مثل: إن و فإن، قال و فقال، هو و فهو، ...) حتى لا أثقل الهامش، ولكن في بعض الفقرات أثبتها لدفع اللبس وإلباس المعنى ثوبه المفصل وحتى يَبْلغَ الفهمُ مَحلَّه.

---

222 : كُتِبَتْ كلماتُ المخطوط وفق الرسم الإملائي القديم للخط المغربي، وهاهي نماذج لبعض الكلمات المبدلة والمكتوبة بالرسم الإملائي الحديث:

- إبدال رسم الفاء والقاف (ميزة الخط المغربي)، مثل: (فَـــفَـــالَ) أبدلتها بـــ : (فَـــقَـــالَ).
- تسهيل الهمزة، مثل: (المسايل) أبدلتها بـــ : (المسائل).
- كتابة الألف بعد الأفعال المنتهية بالواو، مثل: (يدعوا) أبدلتها بـــ : (يدعو).
- (لاكن): أثبتها في تحقيق المتن (لكن)، (ءاله): أثبتها (آله)، (ءامنوا): أثبتها (آمنوا)، (اليل) : أثبتها (الليل).

- تغاضَيْتُ عن إعراب الأمثلة المتكررة والقريبة من بعضها بعضا، الموجودة في نُسَخٍ والغائبة في نسخ أخرى؛ لتفادي إثقال الهامش.
- ضبطت الآيات والأحاديث والأمثال والأشعار بالشكل التام، مع ضبط معظم الكلمات الباقية، خاصة التي لا يؤتمن فيها اللّبس، كالفعل الذي لم يسم فاعله وغيره، كما حاولت قدر المستطاع إثبات الشّدة باعتبارها حرفا.
- أثبتُّ نهاية صفحات المخطوطة بوضع علامة [/] للدلالة على نهاية وجه أو ظهر الورقة من النسخة الأم فقط .
- أثبتُّ في الجانب الأيمن للخط المائل رقمَ الورقة، وفي الجانب الأيسر رَمْزَيْن، هما: حرف (و) الدّال على وجه الورقة، وحرف (ظ) الدّال على ظهر الورقة، مثال:
[05/ و]: نهاية وجه الورقة الخامسة. [09/ ظ]: نهاية ظهر الورقة التاسعة.
- شرحت الكلمات الصّعبة بالاعتماد على المعاجم اللغوية كالصحاح واللسان وغيرهما.
- خرّجت الآيات القرآنية، بعد وضعها بين قوسين مزهرين، وأشرت في الحاشية إلى موضعها من المصحف الشريف بذكر رقمها وسورتها وأتممتها إن كانت ناقصة في المتن.
- خرّجت الأحاديث النبوية من كتب الحديث المعتمدة، فذكرت راويه واسم الباب أو الكتاب المبوب تحته، ورقمه التسلسلي.
- خرّجت الشواهد الشعرية من دواوين أصحابها، فإن لم يكن لصاحب الشاهد ديوان خرّجته من المجمعات والجمهرات الشعرية، كالأصمعيات والمفضليات، فإن لم أجده عمدت إلى كتب الشواهد النحوية، كشرح شواهد المغني للسيوطي وغيره، فإن لم أجده عمدتُ إلى مصادر اللغة والنحو والأدب والمعاجم، فإن لم أجده ذكرتُ عبارة: **" لم أقف على ترجمته "**.
- أتممت في الحاشية أنصافَ الأبيات المذكورة في المتن، بذكر الصدر أو العجز الناقص من البيت مع الشرح والتعليل.
- ذكرت في الحاشية الروايات المختلفة للشاهد (إنْ وُجِدت).
- عمدت إلى وضع بحر الشاهد في المتن.
- شرحتُ الشاهد على ثلاث مراحل (اللغة ، المعنى ، الشاهد):
  * شرحت ما كان غريبا في ألفاظ الشاهد، واعتمدت على الكتب والمعاجم التي شرحت الشواهد.
  * شرحت معنى الشاهد.
  * ذكرت الشاهد دون غيره من الألفاظ مع الشرح والتعليل.
- لم أعمد إلى إعراب الشاهد في الحاشية كدأب بعض المحققين خوفا من إثقال الهوامش.
- رجعت إلى النصوص المقتبس منها، ووثقت الآراء النحوية من كتب أصحابها، وإنْ لم أجدها فمن أمهات الكتب النحوية، فإن لم أجدها ذكرتُ عبارة: **" لم أقف عليه "**.
- خرّجت الأمثال العربية من مصادرها،كجمهرة الأمثال للعسكري، ومجمع الأمثال للميداني.
- ترجمت للأعلام الذين جاء ذكرهم في متن الكتاب، وذلك من كتب التراجم والطبقات، وقد اعتمدت الاختصار عن هؤلاء الأعلام حتى لا أثقل الهامش.
- خرّجت المسائل الخلافية من الكتب المعتمدة في ذلك كالإنصاف في مسائل الخلاف.
- ألحقت بمقدمة الكتاب صورا لوجه وظهر الورقة الأولى والأخيرة للنسخة الأم وبعض النسخ المعتمدة.

- قمت بصناعة الفهارس الفنية للكتاب، وهي:
* فهرس الآيات: ورتبتها حسب ترتيب السور القرآنية.
* فهرس الأحاديث النبوية: ورتبتها ترتيبا ألفبائيا.
* فهرس الأشعار: ورتبتها حسب القوافي.
* فهرس أنصاف الأبيات: ورتبتها حسب الحرف الأول لكل نصف بيت.
* فهرس الأشعار التعليمية: ورتبتها حسب القوافي .
* فهرس الأمثال والأقوال المأثورة: ورتبتها ترتيبا ألفبائيا.
* فهرس الأعلام المترجم لها: ورتبتها ترتيبا ألفبائيا.
* فهرس الأماكن والبلدان والقبائل والمذاهب: ورتبتها ترتيبا ألفبائيا.
* فهرس المصادر والمراجع.
* فهرس تفصيلي للموضوعات.

وأما **الخاتمة**: فقد تضمنتْ أهم النتائج التي حصدها عملي المتواضع وبَحثي المحدود جدا، والذي أخذ الكثير من وقتي وصحتي وعقلي ومالي، فعساه يكون لبنةً صغيرةً في صرح التراث النحوي وما له من أهمية بالغة في تيسير قواعد اللغة العربية.

إن تحقيق هذا المتن التراثي هو جهدُ محققٍ ناشئ حاول جاهدا الاقتراب من الصورة الأصلية للمخطوط، ولعل في محاولة الاقتراب من النبعِ ما يكشف عن تعلق وجداني بفن التحقيق وأصوله، ولا يزعم الباحث أنه أخرج المتن إخراجاً دقيقاً متكاملاً، ولكنها خطوة في البداية لم تبلغ الغاية، وقد تصل إلى المراد المأمول إذا ما تكاملت الأسباب والأدوات، وتهيأت الظروف والمناسبات، وقد كلّفت نفسي ما لست له بأهل، وعذري أن الميسور لا يسقط بالمعسور، وقد لزمت في هذا المنهج جادة أهل التحقيق، ولزوم الجادة طريقة مألوفة وسنة متبعة، وسلكت فيه - فيما أرجو - درب الاعتدال والإنصاف، وابتعدت عن التكلّف والإجحاف، دون إفراط وتفريط أو إلزام ما لا يلزم.
لقد كان هذا الشرح متميزا بين شروح الآجرومية الأخرى؛ لاتصافه بالسهولة والابتعاد عن المسائل المعقدة في النحو، ولعدم ربط العلوم اللغوية بالعلوم الدينية والكلامية حتى يجعل المبتدئين في التحصيل العلمي يركزون على النحو والصرف دون إدخالهم في المسائل الدينية والكلامية المتشعبة والمختلف فيها، والتي لا تخدم الطالب المبتدئ وتجعله ينفر من علم النحو والصرف.
الظاهرُ من الكتاب أنّه شَرْحٌ تعليميّ وُضِعَ للمبتدئين في علم النحو؛ ومن مزاياه:
- الاستشهاد برواية قرآنية واحدة دون القراءات الأخرى المتواترة والشاذة.
- قلّة الاستشهاد بالأحاديث النبوية الشريفة.
- قلّة الاستشهاد بالأمثال والأقوال المأثورة عن العرب.
- عدمُ ذِكْر الخلافات والتفاصيل الدقيقة في المسائل النحوية.
- غياب العلوم الكلامية والدينية (العقيدة، الفقه، ...).
- غياب العلوم الطبيعية (علم الحيوان والنبات والفلك...).
- غياب معارف الأنساب والمِلَل والنِّحَل.

- عدم الغلو في أصول النحو والقضايا العامة (السماع، القياس، العلل، التأويل، الضرورة الشعرية، العوامل والمعمولات...).

من خلال مرافقتي هذا البحث الشيق، استطعت أن أصل إلى النتائج التالية:

1 - أهمية متن الآجرومية في الأوساط التعليمية الدينية الإسلامية، وانتزاعها للمرتبة الثالثة في برامج التعليم بعد القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

2 - تعدد شروح الآجرومية؛ لاحتياجها إلى التنبيه على مقافلها وتَهافت الناس عليها، والذي كان سببا في إقبال العلماء على شرحها وتبسيط إشاراتها وشواهدها.

3 - تميز شرح الآجرومية لابن جبريل بالسهولة، وقد اختار الشارحُ لغةً بسيطة متداولة بعيدة عن الغرابة والصعوبة، وهذا ما يؤيّد وِجهة الكتاب وغرضه في إفادة المبتدئين.

6 - غيابُ الاستطراد وذِكْر التفاصيل.

7 – ظهور شخصية الشارح، إذْ لم يقف من الآراء النحوية الواردة في الشرح موقف السارد أو الناقل، بل اختار منها وحلّل وناقش، وجوّز، وضعّف؛ فهو يشير إلى الرأي الصحيح المرجّح (في نظره).

8 - الشيخ بن جبريل بصريُّ الاتجاه؛ لتأييده آراء البصريين وتوظيف مصطلحاتهم، لكن مع هذا الميول البصري، فإنّ الشارح وظّف بعض المصطلحات الكوفية، وهذا يدلّ على عدمِ تعصّب الشارح لمذهب نحوي واحد، وأخْذِه بأرجح الأقوال.

9 - إبراز الحَركة اللغوية والأدبية، والمستوى التعليمي خلال القرن 10 هـ (عصر الشارح).

10 - إبراز الحركة اللغوية والأدبية، والمستوى التعليمي (خاصة ما كُتِبَ في الهوامش) بمنطقة فرجيوة خلال بداية القرن 13 هـ (عصر الناسخ).

وفي نهاية المطاف أستعين بعبارة مختصر الخليل في الديباجة، لعلها تعبّر أصدق تعبير عن النقص البشري، والقصور الإنساني في بلوغ الكمال المعرفي. يقول صاحب الديباجة: " ثم أعتذر لذوي الألباب من التقصير الواقع في هذا الكتاب، وأسأل بلسان التضرع والخشوع وخطاب التذلل والخضوع، أن ينظر بعين الرضا والصواب، فما كان من نقص كمّلوه، ومن خطأ أصلحوه فقلّما يخلص مصنف من الهفوات، أو ينجو مؤلف من العثرات " .